

العلاقة بين حفظ القرآن الكريم وتفسيره

زينب منير علي صبحة*

*الدرجات العلمية: بكالوريوس فقه وتشريع – جامعة النجاح الوطنية، ماجستير فقه وتشريع – جامعة النجاح الوطنية- قيد الدراسة.
مجال العمل: معلمة تحفيظ متطوعة في دار القرآن الكريم للإناث- بيتنا.

مقدمة:

يحرص الكثير من الناس - صغاراً وكباراً- في عصرنا الحاضر على حفظ كتاب الله ﷻ، وهذا بلا شك نعمة وفضل عظيم، فقد اختص الله هذه الفئة بالخيرية في حفظ كلامه، قال ﷻ: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"¹.

وتبرز أهمية هذه الورقة العلمية في بيان العلاقة بين حفظ القرآن وتفسيره، فهما مكملان لبعضهما البعض، ولا يُتصور تحقق الهدف الأسمى لتلاوة القرآن مجرداً عن فهم معانيه، فحفظ القرآن يكون من خلال حفظ المسطور مع فهم المعاني وإدراك العبر، والاستفادة من القصص القرآني، وتطبيق الأحكام الشرعية، ودعوة الناس للعمل بها، والوقوف على آيات الرحمة والعذاب.

أما من يكتفي بمجرد الحفظ فقد حرم نفسه ممّا سبق، ولا يتحقق فيه الحمل الصحيح لكلام الله ﷻ، فما فائدة حفظ الكلام مجرداً؟

وربما دخل في جملة من قال الله ﷻ فيهم: "مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ"².

خطة البحث:

قسّمت البحث بناءً على المحاور الآتية:

أولاً: الغاية المنشودة من إنزال القرآن الكريم هي التدبر والعمل.

ثانياً: تعريف التفسير، ومنزله، وأقسامه، وأهميته والحاجة إليه.

ثالثاً: حفظ القرآن الكريم: حكمه، ومنزله.

رابعاً: الاستفادة من منهج الصحابة ﷺ.

¹ البخاري، محمد بن إسماعيل، (ت: 256هـ)، الجامع الصحيح، ط1، دار الشعب - القاهرة، 1987م، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ح5027، (6/ 236).

² سورة الجمعة: 5.

خامساً: حفظ كتاب الله ﷻ وتفسيره وجهان للحمل الصحيح لكلام الله ﷻ.

الخاتمة، واشتملت على أهم التوصيات.

أولاً: الغاية المنشودة من إنزال القرآن الكريم هو التدبر والعمل

لقد أَرشدنا الله ﷻ في كتابه العزيز إلى المقصد الصحيح العظيم من إنزاله، حيث بين الله ﷻ بقوله المفهوم المباشر: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} ¹، وقال ﷻ: {أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} ²، وفي موضع آخر قال ﷻ: {أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} ³. فالمقصد المطلوب تحقيقه هو التدبر، حيث أمرنا الله ﷻ به ونهانا عن الإعراض عنه، والمقصود بالتدبر: "النظر في أدبار الأمور، أي في عواقبها ومآلاتها" ⁴.

كما أشار لأهمية التدبر بصيغ أخرى كالتفكر، والتذكر بآيات كثيرة، كقوله ﷻ: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} ⁵، وقوله ﷻ: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} ⁶، وغيرها الكثير.

فالقرآن زاخرٌ بالقصص والأمثال والآيات الكونية والأحكام التي بحاجة إلى تأمل وطول نظر، يخشع قلب المسلم حين يمر على آيات الحديث عن قدرة الله ﷻ، وتتوق نفسه للإكثار من العمل الصالح عند قراءة آيات وصف الجنة، ويبكي خوفاً عند الورد على آيات وصف العذاب... وهكذا. حتى يتمثل وصف القرآن في سلوكه وخلقه وحياته.

وخيرُ مثال على ما سبق سيّد البشرية سيّدنا محمد ﷺ، فعن عوف بن مالك الأشجعي قال: قمت مع رسول الله ﷺ ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمرُّ بآية رحمة إلا وقف فسأل ولا يمرُّ بآية عذاب إلا وقف فتعوذ، قال: ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه: سبحان ذي الجبروت والملكوت

¹ سورة ص: 29.

² سورة النساء: 82.

³ سورة محمد: 24.

⁴ القرضاوي، يوسف، كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ط3، دار الشروق، القاهرة، 1421هـ-2000م، ص 169.

⁵ سورة يوسف: 111.

⁶ سورة الحشر: 21.

والكبرياء والعظمة. ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك، ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة سورة¹.

قال الحسن البصري: "والله ما تدبّره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إنّ أحدهم ليقول قرأت القرآن كله ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل"².

ثانياً: تعريف التفسير، ومنزلته، وأقسامه، وأهميته والحاجة إليه

أ. التفسير لغة واصطلاحاً:

التفسير (لغة) مأخوذ من الفعل الثلاثي (فسر)، والفسر: الإبانة وكشف المغطى، أو كشف المعنى المعقول³. فالتفسير: هو البيان والتفصيل، يقول الله ﷻ: {وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا⁴، وقال بعضهم التفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل⁵.

(اصطلاحاً): "علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمت لذلك"⁶.

وفي تعريف أوضح: "علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة، والنحو والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ"⁷.

وقيل: "علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"¹. فقيد التفسير بالقدرة البشرية، ومن المهمّ تقييده كي لا يظنّ القارئ أنّه يتوجب على

¹ أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، دار الكتاب العربي، بيروت، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، ح873، (325/1). الحكم على الحديث: قال الألباني: صحيح، الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح أبي داود، ط1، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، 2002م، (27/4).

² ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، ط1، دار الكتب العلمية، - بيروت، 1419هـ، 54/7.
³ الزبيدي، محمد بن محمد، (ت: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، (323/13).
⁴ سورة الفرقان: 33.

⁵ الأزهرى، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، ط1، دار إحياء التراث العربي - بيروت - 2001م، (283/12).
⁶ الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف (ت: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، (26/1).

⁷ الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ط1، 1957م، دار إحياء الكتب العربية، (13/1).

كل فرد الوصول للكمال في تفسير وفهم آيات القرآن الكريم، بالإضافة لعدم قدرة البشر على تفسير بعض الآيات الغيبية التي اختص الله ﷻ وحده في علمها.

ب. منزلة التفسير:

أجمع أهل العلم على أنّ التفسير من فروض الكفايات، وأجلّ العلوم الشرعية، وقد برزت مكانته الشريفة من ثلاث جهات: أولها: من جهة موضوعه، فهو كلام الله ﷻ، وثانيها: من جهة غرضه، وهو الوصول بالمسلم إلى السعادة الحقيقية، وثالثها: من جهة الحاجة الماسة إليه، فكل كمال ديني أو دنيوي مُتوقف على العلم بالقرآن الكريم.²

ج. أقسام التفسير:

ذهب ابن عباس رضي الله عنهما إلى تقسيم التفسير إلى أربعة أقسام:

أولها: تفسير لا يعذر أحد من الناس بجهله، وهو المعنى المتبادر إلى الأفهام عند قراءة نصوص المتضمنة لشرائع الأحكام، كقول الله ﷻ: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ}³، فيفهم القارئ وجوب الصلاة، وإن كان لا يعلم بالقاعدة الأصولية " الأمر يفيد الوجوب". وثانيها: تفسير تفسره العرب بألسنتها، أي ما تعرفه العرب بلسانها من اللغة والإعراب. وثالثها: تفسير يفسره العلماء، وذلك من خلال اجتهادهم في فهم النصوص ودلالاتها، واستنباط الأحكام وبيان المجمل ... إلخ. ورابعها: تفسير لا يعلمه إلا الله ﷻ، فقد اختص الله ﷻ وحده بعلمه، كالأيات التي تذكر الساعة، والروح، وغيرها ممّا يجري مجرى الغيب.⁴

د. أهمية التفسير والحاجة إليه:

¹ الزرقاني، محمد عبد العظيم(ت: 1367هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3، مطبعة عيسى البابي وشركاه، د.ت، 3/2.

² السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر(ت: 911هـ)، الإتيان في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م، (199/4).

³ البقرة: 43.

⁴ الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، 10/2-11.

تتبع أهمية التفسير من خلال تعلقه بكلام الله ﷻ، فقد أنزل الله لنا كتابه تبياناً ومرشداً لنا في هذه الحياة، كالبوصلة تماماً، إن لم نفهم رموزها وإشاراتها، لم نحقق أيّ تقدّم واستفادة، وفيما يلي بيان لحاجة الأمة إلى التفسير:

• تحقيق الغاية المنشودة من تلاوة الآيات وهو التدبر:

سبق أن بيّنت أهمية التدبر بكونها الغاية المطلوبة، كي يحسن الفهم والعمل. فقد أنزل الله ﷻ القرآن الكريم إلينا باللسان العربي، ووصف كتابه بالميسر المبين، حيث قال: {فَإِنَّمَا يَسِّرُنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} ¹، إلا أنّ اللسان العربي يتميز بتنوع الدلالات، كاستخدام الكناية، والتشبيه، والأمثال، وغيرها من الأساليب، ولا يمكن للمسلم تدبر الآيات إلا من خلال تفسيرها وفهمها، فمدارك البشر مختلفة، ولا يُعقل استواؤهم في الفهم الذاتي ².

• نهضة البشرية وإصلاحهم وإعزاز العالم:

فلا يمكن لنا أن نتخيل الأمة الإسلامية في الطليعة المنشودة، وفي التقدم الأسمى، إلا عند الاسترشاد بهدي القرآن الكريم، وتعاليمه، ونظمه، وتوجيهاته في كافة مناحي الحياة. وذلك لا يتأتى إلا من خلال فهم القرآن الكريم، وتدبره، ووعي ما احتواه من مبادئ، وعبر، وقصص، وأوامر، ونواهٍ.

والناظر في عصرنا الحاضر يجد أثر التقدم المادي في خدمة كتاب الله ﷻ من طباعة المصاحف ووفرته، وابتكار الوسائل المتنوعة المعنية على الحفظ، إضافةً لكثرة الحفّاظ في العالم، إلا أننا لم نحقق تقدماً كالذي وصل إليه الصحابة الأكارم ﷺ في زمنهم رغم ضيق وعسرة عيشهم، إضافة لعدم توفر المصاحف كما نحن عليه الآن ³.

• الوصول إلى الفهم الصحيح المطلوب

¹الدخان: 58.

²القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص 200.

³الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، 6/2-7.

حيث يتوجب على المسلم أن يوجّه نظره إلى طلب معرفة مراد الله ﷻ، دون اتباعٍ للهوى، أو تقصير في البحث والنظر، فلا يكتفي بما يعتدل في عقله وما يختلج في صدره من معاني، ثم يستحضر على ذلك آيات من كتاب الله ﷻ¹.

فقد وقع الخطأ في الفهم في زمن الصحابة الكرام، فقد روي "أنّ عمر استعمل قدامة بن مظعون على البحرين فقدم الجارود على عمر فقال: إنّ قدامة شرب فسكر، فقال عمر: من يشهد على ما تقول؟ قال الجارود: أبو هريرة يشهد على ما أقول، فقال عمر: يا قدامة إني جالدك، قال: والله لو شربت كما يقول ما كان لك أن تجلديني، قال عمر: ولم؟ قال: لأنّ الله يقول: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا}² فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ثم اتقوا وآمنوا، ثم اتقوا وأحسنوا، شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا، وأحدًا، والخندق، والمشاهد. فقال عمر: ألا تردون عليه قوله؟ فقال ابن عباس: إنّ هذه الآيات أنزلت عذرًا للماضين وحجّة على الباقين، لأنّ الله يقول: {يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ}³، قال عمر: صدقت⁴.

- عدم الشعور بالتلذذ إلّا من خلال فهم المعاني، وتبيان الحقائق، فالقلوب الحيّة هي من تجري في مضمار المعاني القرآنية، وفهمها السليم، وحسن تطبيقها⁵.
- فهم القرآن هو سبب لوجود الألفة، واجتماع القلوب، وزوال الخلاف المذموم، الذي ينشأ عنه الافتراق والافتتال، وعدم فهمه سببٌ لوجود الخلاف والشقاق⁶.

"عن إبراهيم التيمي قال: خلا عمر ذات يوم، فجعل يحدث نفسه؛ كيف تختلف هذه الأمة، ونبينا واحد، وقبلتها واحدة؟ فأرسل إلى ابن عباس، فقال: كيف تختلف هذه الأمة ونبينا واحد، وقبلتها واحدة، فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيم نزل، وإنه

¹الحصين، عبد السلام بن إبراهيم بن محمد، كيف نفهم القرآن الكريم؟، ص9، بترقيم المكتبة الشاملة.

²سورة المائدة: 93.

³سورة المائدة: 90.

⁴الذهبي، محمد السيد حسين (ت: 1398هـ)، التفسير والمفسرون، د.ط، مكتبة وهبة، القاهرة، (1/46-47).

⁵الشرقاوي، عمرو صبحي، المشوق إلى القرآن، ص14.

⁶الحصين، كيف نفهم القرآن الكريم، ص4.

سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيم نزل، فيكون لهم فيه رأي، فإذا كان لهم فيه رأي
اختلفوا، فإذا اختلفوا اختلفوا¹.

• الاستفادة من مراتب الفهم:

من المعلوم أنّ الناس يتفاوتون في فهمهم بشكل عام، وفي فهمهم لكتاب الله ﷻ بشكل خاص،
فمنهم من يفهم من الآية حكماً أو حكيمين، ومنهم أكثر من ذلك، ومنهم من يقتصر على اللفظ
فقط. وكذلك الحال في القصص والأمثال فمن الحفظة من يستخرج عبرة واحدة، ومنهم من
يفهمها بمنطق آخر لم يسبق له من قبل².

يقول ابن تيمية رحمه الله أثناء سجنه: " قد فتح الله عليّ في هذا الحصن في هذه المرة من
معاني القرآن ومن أصول العلم بأشياء مات كثير من العلماء يتمنونها، وندمت على تضييع
أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن"³.

ثالثاً: حفظ القرآن الكريم: حكمه، ومنزلته

لقد تكفل الله ﷻ بحفظ كتابه حين قال: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}⁴، ومن وسائل
هذا الحفظ أن هيأ العباد لحفظه جيلاً بعد آخر، فالحفظ في الصدور هو وسيلة للحفظ، ومكانة
عظيمة لحافظه.

أ. حكم حفظ القرآن الكريم:

يجب على كل فرد أن يحفظ من القرآن ما تصحّ به صلاته، وهو الفاتحة ومقدار ما يجزئ
بعدها. أمّا بقية القرآن فحفظه مستحبّ على الأفراد، وفرض كفاية على الأمة، إن قام به البعض
سقط الإثم عن الباقيين.

قال أهل العلم: "يستحبُّ حِفْظُ القرآنِ إجماعاً، وفيه فضل عظيم، وحِفْظُهُ فرض كفايةٍ إجماعاً...
ويجب منه ما يجب في الصَّلَاةِ اتِّفَاقاً"¹.

¹ الشاطبي، إبراهيم بن موسى (ت: 790هـ)، الموافقات، 1، دار ابن عفان، 1997م، (4/148).

² مقال بعنوان: فضل علم التفسير وحاجة الأمة إليه، <https://ar.islamway.net>، تاريخ النشر: 2016/5/21م.

³ ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد (ت: 795هـ)، ذيل طبقات الحنابلة، مكتبة العبيكان، الرياض، 2005م، (4/519).

⁴ الحجر: 9.

ب. منزلة حافظ القرآن الكريم:

لقد تعددت الأدلة في الكتاب الكريم والسنة المطهرة في بيان منزلة حافظ القرآن، وعظمها، كما ميّز النبي ﷺ حافظ القرآن، فهو مُقدّم في الدنيا على غيره في الإمارة، والإمامة، والشورى كما ورد في الأحاديث الشريفة. فقد كان النبي ﷺ يُفَاضِلُ بين أصحابه ﷺ بحفظ القرآن، فيعقد الراية لأكثرهم حفظاً، وإذا بعث بعثاً جعل أميرهم أحفظهم للقرآن، وإمامهم في الصلاة أكثرهم قراءة للقرآن.²

وأحياناً كان يزوّج الرجل على ما يحفظه في صدره من القرآن، فعن سهل بن سعد ﷺ قال: أنت النبي ﷺ امرأة فقالت إنها وهبت نفسها لله ولرسوله فقال: "مالي في النساء من حاجة"، فقال رجل: زوّجنيها، قال: "أعطها ثوباً"، قال: لا أجد، قال: "أعطها ولو خاتماً من حديد"، فاعتل ذلك فقال: "ما معك من القرآن"؟ قال: كذا وكذا، قال: "قد زوجتك لما معك من القرآن"³.

وتستمر المفاضلة حتى عند الوفاة، فقد كان ﷺ يقدّم للحد في القبر أكثرهم أخذاً للقرآن، كما صحّ في شهاد أحد، وفي ذلك ما روي عن جابر بن عبد الله ﷺ أن النبي ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد، ثم يقول: أيهما أكثر أخذاً للقرآن؟، فإن أشير إلى أحدهما قدّمه في اللحد.⁴

كما سار الصحابة ﷺ وفق منهج المفاضلة القرآنية، ومن ذلك أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابنُ أبزى قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولى؟! قال: إنه قارئ لكتاب الله ﷻ وإِنَّهُ عَالِمٌ بالفرائض، ثم قال عمر: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قد قال: "إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيُضَعُّ بِهِ آخَرِينَ"⁵.

¹النجدي، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي (ت: 1392هـ)، حاشية الروض المربع شرح زاد المستنقع، 1397 هـ، 206/2.

²مقال بعنوان: فضائل حفظ القرآن، محمود العشري، <https://www.alukah.net>، تاريخ الإضافة 8/7/2013 ميلادي - 1434/9/2 هجري.

³البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ح5029، (236/6).

⁴المرجع السابق، (كتاب الجنائز، باب من يقدم في اللحد، ح1347، 115/2).

⁵مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، د.ط. دار الجليل بيروت + دار الأفق الجديدة . بيروت، د.ت، (كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقهه أو غيره فعمل بها وعلمها، ح1934، (201/2).

كما أنّ تعظيم حامله من الأدلة على تعظيم الله ﷻ، ففي الحديث أنّه ﷺ قال: "إنّ من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشبهة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط"¹.

فالغبطة الحقيقية تكون لحافظ القرآن، حيث يقول النبي ﷺ: " لا حسد إلّا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار"²، فكم من إنسان تمنينا أن نكون مثله لأجل أنّه حافظ لكتاب الله حتى لو نتعامل معه في حياتنا.

ويمكن إبراز الحكمة من حفظ القرآن الكريم بعدة نقاط:

- حفظ القرآن في الصدور هو أعظم وسيلة حفظ، يقول الله ﷻ: ﴿زَيْلٌ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾³، فالصدور هي الأماكن الآمنة التي لا يستطيع عدو أو حاقد أن يؤثر فيها. وقد بات هذا واضحا في البلاد التي يُحارب فيها الإسلام وتمزّق بها المصاحف، فكيف يقرأ المسلم حينها ويتعبد إن لم يكن حافظاً؟⁴.
- التمتع بقوة الذاكرة والتركيز، وسرعة البديهة، وذلك من خلال الحفظ، والتميز بين الآيات المتشابهة أو المكررة في أكثر من موضع، حيث أثبتت العديد من الدراسات والبحوث على أثر حفظ القرآن الكريم ودوره في تنمية المخزون اللغوي، والتذوق الأدبي، وتنمية مهارات الكتابة والقراءة، بالإضافة لفصاحة اللسان⁵.
- الجاهزية التامة وحضور الشخصية الإسلامية، وذلك من خلال قدرة الحافظ على إقامة الحجة على من يُخالف كلام الله تعالى إذا استدعى المحل ذلك⁶.

¹ أبو داود، سنن أبي داود، (كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، ح4845، 4/411). الحكم على الحديث: قال الألباني: حسن، (الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ط1، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، 1412 هـ / 1992م، (247/7).

² البخاري، صحيح البخاري، (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ، أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، ح7529، 9/189).

³ العنكبوت: 49.

⁴ مقال بعنوان: فضائل حفظ القرآن، <https://www.alukah.net>، تاريخ الإضافة: 2013/7/8 م - 2013/9/2 هـ.

⁵ مقال بعنوان: معنى حفظ القرآن وفوائده، alaroob.com، تاريخ الزيارة: 2019/3/5 م.

مقال بعنوان: أثر تعلم القرآن في اكتساب اللغة والأدب، تاريخ النشر: 2007/8/19 م، <https://vb.tafsir.net>.

⁶ مقال بعنوان: الحكمة من حفظ القرآن الكريم، <http://www.islamweb.net>، تاريخ النشر: 2005/12/18 م.

• الحافظ لكتاب الله ﷺ هو فردٌ اختصه الله عز وجل عن غيره، ليتناوله قول الله ﷻ: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} ¹، فلو حاول أحدُ العابثين تحريف ما بين السطور، لردّه حافظ القرآن في الصدور ².

إضافةً لما سبق، فإنّ حفظ القرآن يُساهم في تحقيق التدبر للآيات من خلال تكرار الآيات استعداداً لحفظها، فكثرة التكرار تُظهر للقارئ وقفات وإشراقات تأملية، تستوقفه فتزيده خشوعاً وتسليماً من جهة، واستفساراً وبحثاً عن المعنى من جهة أخرى ³.

رابعاً: الاستفادة من منهج الصحابة رضوان الله عليهم

سبقت الإشارة إلى أنّ القرآن الكريم نزل بلسانٍ عربي مبين، نزل على فرسان البيان وأهل البلاغة والفصاحة، فهم أهل اللغة، فكيف تعامل الصحابة ﷺ مع كتاب الله تعالى؟

أولاً: تدبر الآيات، والسؤال والتشاور فيما أشكل عليهم من القرآن:

لم يتحرج الصحابة ﷺ عن النظر في الآيات، والسؤال عمّا أشكل عليهم، فقد كانوا على علم بظواهره وأحكامه، أمّا دقائق باطنه فكانوا يفهمونها من خلال الاستفسار عنها، ومثاله ما ورد عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: لما نزلت: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} ⁴ شقّ ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله أين لا يظلم نفسه، قال: ليس ذلك إنّما هو الشرك ألم تسمعون ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: {يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} ⁵.

وبعد وفاته ﷺ الصحابة ﷺ يتشاورون فيما أشكل عليهم، فكان عمر ﷺ يجمع الصحابة في أكثر من موقف، ويناقد معهم، وغيره من الصحابة الكرام، وقد ساهمت هذه الطريقة في بناء

¹الحجر: 9.

²مقال بعنوان: الحكمة من حفظ القرآن الكريم، <http://www.islamweb.net>, تاريخ النشر: 2005/12/18م.

³مقال بعنوان: العلاقة بين تدبر القرآن الكريم وحفظه، تاريخ النشر: 2016/8/10م، <http://www.tadabborq.com>.

⁴الأنعام: 82.

⁵لقمان: 13.

⁶البخاري، صحيح البخاري، (كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله}، ح 3429، 198/4).

المنهجية في التفكير، ولا يمكن أن نحققها -نحن- إلا من خلال التفكير في المعاني والتراكيب والأساليب¹.

ثانياً: المزوجة بين التطبيق العملي للآيات والحفظ في الصدور:

لم يكن هم الصحابة رضي الله عنهم الأول هو الحفظ، بل كانوا يقدّمون الفهم على الحفظ، ثم العمل والاهتمام بهديه، ومداومة الالتزام على ذلك²، حيث قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "كان الرجل ممّا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعلم معانيهن والعمل بهن³"، وعن أنس رضي الله عنه: "كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ في أعيننا"⁴، أي عظم، وصار ذا شأن.

وهذا حال أهل اللغة، أمّا نحن فبحاجة إلى معرفة ما سأل عنه الصحابة الأكارم، وما لم يكونوا محتاجين للسؤال عنه.

خامساً: حفظ كتاب الله صلى الله عليه وآله وتفسيره وجهان للحمل الصحيح لكلام الله صلى الله عليه وآله

من خلال ما سبق يتبين لنا أنّ المتدبر الحافظ لكتاب الله صلى الله عليه وآله هو أقدر من غيره على النظر بكتاب الله صلى الله عليه وآله، هو الأقدر على فهم الآيات والملاحظة والربط فيما بينها، ولديه القدرة على استخلاص العبر، واستحضار الآيات الكريمة في المواقف الملائمة، فحفظ القرآن يكون من خلال حفظ المسطور مع فهم المعاني وإدراك العبر، والتعايش مع روح الآيات الكريمة، والاستفادة من القصص القرآني، وتطبيق الأحكام الشرعية، ودعوة الناس للعمل بها، والوقوف على آيات الرحمة والعذاب، إضافة لتمكين الحفظ وتسهيله.

يقول ابن عبد البر: "أول العلم حفظ كتاب الله وتقهمه وكل ما يعين على فهمه فواجب معه"⁵.

¹ جرار، بسام نهاد، سياحة الفكر مقالات في التفسير، ط1، البيرة، فلسطين، 2013م - 1435هـ، ص18.

² الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، 7/2.

³ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 9/1.

⁴ ابن حنبل، أحمد أبو عبدالله الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، د.ط، مؤسسة قرطبة - القاهرة، ح12236، (

120/3). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

⁵ القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري(ت: 463هـ)، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط1، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1414 هـ - 1994 م، 1129/2.

وإن لم يستطع المسلم حفظ كتاب الله ﷻ بسبب كبر السن، أو ضعف في القدرة على الحفظ، أو انشغاله، وغيرها من الأسباب، فإن مداومة النظر والتدبر وتعاهد كتاب الله ﷻ تُغني، مع التأكيد على أهميّة حفظ كلام الله تعالى، وفضله، فحفظ كتاب الله تعالى من مقاصد التربية الإسلامية¹، فإن تسنى له حفظ أجزاء أو بعضه فذلك خير إلى خير، فحفظ القرآن - كما سبق بيان حكمه - مُستحب، ومع ذلك فلحافظه منزلة رفيعة.

أما في حال كان طالب الحفظ صغيراً في السن فإننا نقدّم الحفظ على التفسير والفهم، فكما يُقال: الحفظ في الصغر كالنقش بالحجر، فالناظر في سير العلماء وأصحاب الشأن يجد أنهم يشتركون في حفظ كتاب الله ﷻ في سن مبكرة. إضافةً لذلك فقد أجاز بعض الفقهاء مسّ الصبي للمصحف بغرض التعلّم والحفظ²، وهذا من باب التيسير من جهة، والوصول للثمرة الأصلح من جهة أخرى.

كما ضرب الله ﷻ مثلاً للاتعاظ كي لا نصير إلى ما صارت إليه الأمم السابقة، نكتفي بالحفظ للألفاظ مجردة عن معانيها ومراميتها، فندخل في وصف الله ﷻ اللهم بقوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾³، فقد ذمّ الله ﷻ اليهود حين أعطاهم التوراة ليعملوا بها، فلم يعملوا بها، وشبّههم بالحمار الذي يحمل كتباً لا يفقه شيئاً ممّا فيها، ويدخل تحت ذلك الوصف كل من اكتفى بحمل الألفاظ مجردة عن وعي وفهم ما فيها⁴.

إنّ القرآن الكريم هو منهاج المسلم، ودستور سياسة الحكم، ودستور الدعوة إلى الله ﷻ. فلا بدّ من إحسان التعامل مع كتاب الله ﷻ حتى لا ندخل في وصف الهاجرين، يقول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾⁵.

يقول ابن كثير: "وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتنال أوامره واجتتاب نواهيه"⁶.

¹ جزار، سياحة الفكر، ص18.

² الخرشي، محمد بن عبد الله المالكي أبو عبد الله (ت: 1101هـ)، شرح مختصر خليل للخرشي، د.ط، دار الفكر للطباعة - بيروت، د.ت، 161/1.

³ الجمعة: 5.

⁴ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 143/8.

⁵ الفرقان: 30.

⁶ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 98/6.

والحمل الصحيح للقرآن لا يكون إلا بالحفظ المتقن والفهم والعمل، فحفظ القرآن وتفسيره وجهان للحمل الصحيح، فهما متلازمان يعينان على تدبر الآيات.

الخاتمة:

- فهم القرآن هو أساس التدبر الصحيح، وذلك بفهم المراد من كلام الله تعالى وتفسيره، والعمل به. وهو الغاية المنشودة من إنزال الآيات.
- الحفظ في الصدور هو وسيلة لحفظ القرآن، ويعطي لحافظه مكانة عظيمة.
- لا بدّ من الاستفادة من منهج الصحابة الكرام في حفظ القرآن وفهمه وتطبيقه.
- ضرورة التوازن بين الحفظ والتلاوة من جهة وبين الفهم والتدبر والعمل من جهة أخرى.
- الاهتمام بالتفسير والفهم لا يعني إهمال الحفظ وتركه، بل كلّها أمور يُثاب فاعلها.
- المتدبر الحافظ لكتاب الله ﷻ هو الأقدر على استحضار الآيات في المواقف الملائمة.
- تفسير القرآن وفهمه يسهّل الحفظ ويمكّنه في صدر حافظه.
- حفظ القرآن وتفسيره هما وجهان للحمل الصحيح لكتاب الله ﷻ.

التوصيات:

1. نشر الوعي المجتمعي بأهميّة تفسير القرآن الكريم وتدبره.
2. تكليف القائمين على دورات تحفيظ القرآن الكريم بتفسير الآيات للطلبة.
3. إقامة دورات تفسير في مختلف الأماكن بما يتناسب وأعمار الحاضرين لهذه الدورات.